**المحور الرابع**

**الطُّرُقُ الصُّوفية و دورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**

رغم أن الإسلام ثبَّتَ أقدامه كدين رسمي لعديد من الممالك الإسلامية في السودان الغربي، وازدهرت العديد من المدن السودانية كحواضر للثقافة العربية الإسلامية، مثل تنبكتو و جاو و جني ولاتة، إلا أن المناطق الريفية و الأدغال بقيت تعاني من ضعف في الدعوة الإسلامية نتيجة تمركز النشاط العلمي و الدعوي في الحواضر دون غيرها من المناطق، وهذا ما نتج عنه انحراف في الدين واختلاط العقائد الإسلامية بالمعتقدات الوثنية التقليدية، في ظل انتشار الجهل بأمور الدين فأصبح الإسلام يقتصر عندهم على الشهادتين و أداء الصلاة في أحسن الأحوال.

إن مهمة إصلاح الدين وتعليم الناس فقد وقعت على عاتق الطرق الصوفية التي كان لها الدور الأعظم في تنظيم سلوك الأفراد و تهذيب أرواحهم، و تقويم سلوكهم و ربطهم حول الشيخ الذي أعاد اللحمة للمجتمع الإفريقي المسلممن خلال عمل قاعدي متدرج يبدأ من الزاوية ينتهي عند مشروع الدولة الإسلامية.

**أولا:دور الطريقة القادرية:**

وكانت الطريقة القادرية هي أول طريقة صوفية وصلت إلى الغرب إفريقيا، و كانت المدينة الجزائرية تلمسان البوابة التي انطلقت منها الطريقة القادرية نحو الصحراء الجزائرية، وذلك مرورا بمراكش المغربية بواسطة العالم المراكشي الشيخ ابي مدين شعيب الانصاري الأندلسي (ت 594ه/1197م) بعد مقابلته للشيخ عبد القادر الجيلاني الذي تُنسَبُ الطريقة القادرية إليه خلال رحلته إلى الحج، حيث أخذ عنه التصوُّف و ألبسه الخِرْقَة في لقائهما في الحجِّ، ولما رجع إلى بلاد المغرب استقر ببجاية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد، ونشر بها العلم وتعاليم الطريقة. وهكذا أخذت هذه الأخيرة في الانتشار في كامل بلاد المغرب، وذلك وغيره، لتنتقل إلى الصحراء بواسطة عدة شيوخ، كعبد السلام بن مشيش وغيره لتنتقل إلى الصحراء والواحات، ومن توات في أقصى جنوب غرب الجزائر؛ حيث تم ذلك بفضل العالم الجليل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي(توفى عام 909ه/1503م) الذي نشر الطريقة أولا بمنطقة توات خلال القرن التاسع الهجري/15م، إذ بدأ ذلك بتأسيس زاويته هناك بغرض نشر الإسلام وتدريس تعاليم الطريقة القادرية.

و قد انتقلت بعدها إلى ما وراء الصحراء الكبرى حيث واصل المغيلي نشاطه الدعوي للطريقة هناك أيضا، و ذلك بشهادة الشيخ آدم الألوري الذي قال فيه:« ... **أوَّل من نشرها في بلاد السودان محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني** »، الذي نشر الطريقة القادرية بمنطقة توات وأسس بها زاوية بقصر بوعلي في أواخر القرن التاسع الهجري/15م، إذ كان لها إشعاع ُ كبير في منطقة توات وغرب إفريقيا.

قام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني برحلة إلى بلاد السودان الغربي، ومر في طريقه بِعِدَّةِ مُدُنِ داعيا للناس و وَاعِظا للحكام، ومن بين المدن التي زارها كانت كانو، وكاتسينا، وكاغاو، وتيقدا، وآيير، وبلاد الهوسا بالإضافة إلى بلاد التكرور، وبعد ذلك مرَّ بجاو عاصمة مملكة سنغاي والتقى بسلطانها الأسقيا الحاج محمد الكبير سنة 1493م ،الذي حمل له بعض النصائح و الفتاوي الخاصة بشؤون الحكم ، و نقل إلى سنغاي مبادئ الطريقة القادرية السنية المالكية، و بذلك كان أوَّل من نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي.

وفي سنة 1553م دخلت على الطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء أفكارا جديدة قادمة من مصر وتركيا عبر شرق إفريقيا، منها أفكار الشيخ زروق والذي يعتبر من أهم رجال الطريقة القادرية بمنطقة أغاديس، ومن هذه المدينة انتقلت أفكاره وآراؤه إلى الشيخ المختار البكاي الكبير الكنتي.

فبعد وفاة الشيخ المغيلي ظهر فرغ آخر للقادرية عرفت باسم الطريقة البكائية، وذلك في الصحراء الجزائرية في القرن (10ﻫ-16م) وامتدت إلى ساحل صحراء إفريقيا التي تفرعت عن الطريقة القادرية ،حيث أسسها الشيخ أحمد بكاي الكنتي (توفي سنة960ﻫ/552م) الذي التقى المغيلي بتوات و اخذ عنه أوراد الطريقة، وأصبح رئيسا لها في الصحراء الكبرى، لكن الطريقة البكاية ازدهرت في عهد الشيخ المختار الكنتي (توفي سنة 1226ﻫجري/1811م**)** الذي أحيا الطريقة بعد فترة خمول و جمود، وأعاد بعثها من جديد ، إذ عمل على توطيد العلاقات الثقافية بين ضفتي الصحراء وتنقل بين توات وولاته وتنبكتو في حين استقر أحفاده في الأزواد شمال مالي وانشئوا فروعا لزاويتهم في حواضر الصحراء الإفريقية، والملاحظ انه لم يقتصر دورها على الجانب الروحي والاجتماعي بل تعداهما إلى الجانب السياسي إذ ظهرت دويلات استندت على دعوتها مثل دولة عثمان دان فوديو في نيجيريا و أحمدو لوبو (1260ﻫ-1844م) في ماسينا.

كما انتقلت القادرية من حاضرة توات نحو بلاد الساحل الإفريقي و السودان الغربي، إذ تعد منطقة توات من المدن الجنوبية الغربية للصحراء الجزائرية، و هي تابعة اليوم لولاية أدرار الجزائرية. لشيوخ الطريقة في هذه المدينة دور كبير في نشر الإسلام و علومه في منطقة الساحل، و ذلك بحكم الموقع الجغرافي، والعامل التاريخي، حيث جعل منطقة توات على اتصال مستمر بأهم الحواضر العلمية في بلاد الساحل كتنبكتو، و جاو، و أودغست، إذ كانت توات تشكل منطقة عبور رئيسية لقوافل التجارة والحج القادمة من بلاد السودان، والمتجهة نحو دول المغرب الاسلامي أو المشرق(**[[1]](#footnote-2)**). كما ساهمت الهجرات المتدفقة من إقليم توات نحو بلاد الساحل دور في نقل الاسلام والتصوف والزوايا و ما ترتب عنها من حركة التعليم و نشر العلوم الدينية، دون اغفال دور تجار توات في مد مناطق صحراء إفريقيا بالأفكار والتعاليم الإسلامية على النهج الصوفي القادري.

لكن الدور الكبير الذي مارسه علماء قبائل توات الجزائرية في منطقة الساحل وبالخصوص في تنبكتو، يبقى بدون منازع من طرف شيوخ الطريقة الصوفية القادرية، و على رأسهم شيوخ الطريقة القادرية البكائية، التي أنشاها الشيخ سيدي أحمد البكاي الكونتي من قبيلة كونته الصحراوية الذي عاش خلال القرن التاسع للهجرة/15م، و حمل راية الاسلام ونشره في صفوف القبائل السودانية في منطقة الساحل، و بعده تمسكت قبيلة كونته بهذا الدور خاصة في عهد ابنه الشيخ عمر.

و يؤكد المؤرخ الفرنسي بول مارتي(Paul Marty) بأن الرسالة التي أرسلها ملك بورنو الملقب بـ(كادي) أو (كانديي) سابق الذكر إلى علماء و سشيخى القادرية بتوات كانت موجهة الى الشيخ عمر الكونتي يدعوه فيها و يدعو جميع أحفاد الشيخ أحمد البكاي الكونتي المقيمين في توات إلى عدم التخلي عن تقاليدهم في التواصل مع مملكة بورنو، ويتساءل عن سبب حدوث تلك القطيعة، و لقد منحهم ملك بورنو امتيازات بعدم فرض أي إتاوة أو ضريبة على أي شخص يحمل رسالة من طرف الشيخ عمر الكونتي.

كما عملت الأسر الصوفية التواتية بدورها على نشر الطريقة البكائية في السنغال و منطقة فوتا جالون وأسسوا مراكز للطريقة في كنكان،وتمبو، و في بلاد المندينغ، و وصلت الى غاية غينيا.

وخلال القرن 19م ظهرت فروع أخرى من الطريقة القادرية في إفريقيا حملت نماذج جديدة للتصوف اإسلامي منها الطريقة الموريدية، حيث تعد الطريقة الموريدية التي أسسها الشيخ أحمدو بمبا في السنغال خلال القرن التاسع عشر أهم نموذج للإسلام الإفريقي أو الإسلام الأسود، إذ بفضل هذه الطريقة و مجهودات شيخها و حركة التعليم التي انتهجها تحول الإسلام إلى ديانة الجماهير السودانية في إفريقيا الغربية وخاصة السنغال وشعب الولوف. أي أن الموريدية حملت قراءة جديدة للإسلام في إفريقيا السوداء، لهذا تعرضت الطريقة إلى عدة انتقادات واتهامات بانحرافها عن الدين الصحيح الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نبرز دور الموريدية في نشر الإسلام في السنغال والتجديدات الذي قدمت الإسلام إلى الولوف بطريقة مغايرة وجعلتها تقف على نفس المسافة بين الشعب والسلطة الحاكمة دون أن تخسر أي منهما، ودون أن تحرف النصوص التشريعية أو تتجاوزها.

كانت الطريقة الموريدية تتبع عقيدة ومذهب صاحبها احمدو بمبا وهي عقيدة أهل السنة والجماعة فلقد كان الشيخ بمبا سنيا مالكيا مثل اغلب مسلمي السودان الغربي، فحركة احمدو بمبا كانت استمرارا لحركة المرابطين التي ظهرت خلال القرن الخامس للهجرة/11م، فالمريدية هي في الأصل حركة صوفية انبثقت من الطريقة القادرية، لذلك كان الشيخ احمدو يحث أتباعه على إعطاء أهمية بالغة للتربية، وترتيل القرآن، ودراسة الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى الرياضيات و اللغات الأجنبية.

لم يكتف أحمدو بمبا بترديد السنة التي تركها الرسول صلى الله عليه وسلم، و إنما اجتهد في الوصول إلى البعد الإنساني للإسلام وخاصة الإفريقي وذلك حتى يتوغل به إلى الشعوب السنغالية وغيرها من الشعوب السوداء في إفريقيا، فلقد عمل على إعادة قراءة الإسلام ليسهل فهمه من طرف من يدعوهم إليه.

قامت الطريقة المريدية على مجموعة من المبادئ والتعاليم التي وردت في كتابات الشيخ احمدو بمبا ونصائحه، حيث ركز على تصحيح عقائد أتباعه وعباداتهم وأخلاقهم عن طريق التوحيد والفقه والتصوف، كما كانت تقوم على تزكية النفوس وتطهير القلوب عن طريق الجهاد والخدمة والعمل مع مراعاة الآداب، وكل ذلك يتم تحت إشراف شيخ مرشد يهدي المريد إلى الصراط المستقيم و يبين له موطن الثغرات فلقد لخص ذلك بقوله :

بِأَنْ يُلاَزِمَ مُطِيعَا لا يمَيل في ظاهِرِ و باطِن عَنِ السَّبيل

يَقُــــــودُهُ بالعِلْمِ والعِبـــــــــــَادةِ كمــــا يـــــُرَبِّــيه بـــــِـــتـــَرْكِ الـــــعَـــــــــادَةِ

ومنه يتبين لنا بأن أهم مبادئ المريدية هي العلم، العمل، تزكية النفس، الخدمة ومراعاة الآداب.(**[[2]](#footnote-3)**).كما تقوم الطريقة المريدية على التعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال مبايعته على الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه**)**.

كان الشيخ أحمد بامبا يؤمن بعقيدة أهل السنة والجماعة ويدعو إليها في كتاباته التي بين فيها بوضوح اعتقاده ومذهبه في العبادة والأخلاق، فهو أشعري في العقيدة، مالكي في الفقه، وصوفي في السلوك.

**ثانيا: الطريقة التيجانية**

تنتسب إلى مؤسسها أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التيجاني الجزائري الذي ولد بعين ماضي بولاية الأغواط، وانتشرت في إفريقيا جنوب الصحراء عبر الصحراء الجزائرية انطلاقا من بوسمغون، عين ماضي تماسين، قمار. وقد تأثر الشيخ التيجاني بالنزاعات الصوفية في وقت مبكر من حياته ، ولم يكن قد جاوز واحدا وعشرين من عمره ، وذلك عندما سافر علي مدينة فاس المغربية في عام 1758م بحثا عن مشائخ للطرق الصوفية بعد حصوله علي بعض العلوم في قرية أبيه ( عين ماضي ) بما فيها حفظ القرآن ودراسة الفقه المالكي من كتب مختصر الخليل والأخضري ، ورسالة جماعة الصوفية ببلاد الإسلام للشيخ ابي القاسم القشيري.

وتمثل دور الطريقة في تصحيح المعتقد الديني ونشر الإسلام بين الوثنيين ونشر العلم وبناء المدارس والتصدي للاستعمار، منبلاد المغرب انطلقت من المغرب لتشمل موريتانيا بواسطة شيخ يدعي ( محمد الحافظ ) الذي كان أحد مريدي الشيخ أحمد التجاني في مدينة فاس المغربية .وبهذا أصبحت الطريقة التيجانية الطريقة الصوفية الأولي في شمال إفريقيا ، أي أوسع انتشارا، وأكثر تمثلا في المناسبات الرسمية **.**

ومن الأوائل الذين نشروها في إفريقيا الحاج عمرتال الملقب بالفوتي (نسبة الى فوتا تورو) الذي يقول عنه الشيخ آدم الألوري:« **وأعظم من نشر هذه الطريقة في غرب إفريقيا هو الحاج عمر الفوتي**»**.**

عاشت دولة الحاج عمر تال الإسلامية في الفترة من 1794- 1864 ولعبت دورا حيويا ودينيا وثقافيا في تاريخ المنطقة ، ونظرا للطابع التعصبي الذي اتسم به أهل الطريقة التجانية ، وموقف الرفض في الآخر ، فإن دولة عمر الفوتي ، لم تستمر بعد وفاته وسرعان ما خمدت نيرانها في عام 1864م ، نتيجة النزاعات التي نشبت بين أولاده ، فضعفوا بعده، ثم لم يكونوا علي نفس القدر من الحنكة السياسية والذكاء والتأهيل العلمي ، وفي عاصمتها ( بنيقرا ) والتي تقارب في المعني سر من رأي ساميراء تعني " يعجب الرائي وإن كان عدوا " وهذا يعني أنها" أي مدينة ( بنيغرا ) كانت مدينة حاضرة ، ومتطورة عمرانيا ، وأهم مدن هذا الشيخ نيورو و سيقو.

وقد كان في مدينة ( نيورو ) شيخ يدعي محمد المختار بن أحمد بيللي سال ( 1860 – 1930م) فهو الذي لعب دورا في نقل الطريقة التجانية إلى داخل إفريقيا مثل الغابون وغانا وتوغو ، وكوت ديفوار ، وسيراليون، وكان سبب نانتقالها الى الغابون البعيدة في وسط إفريقيا ، هي لكونها كانت منفى لشيوخ الطرق وزعماء المقاومة الأفارقة ، فكانوا يستغلون وجودهم في الغابون لنشر الطريقة التيجانية ، كما أن البلاد الساحلية عموما كساحل العاج وغانا وسيراليون، هي بلاد جاذبة لسكان المناطق الصحراوية الحارة ، فهم يشكلون العمالة ، والمغتربين في هذه المناطق**.**

كما كان الحاج عمر الفوتي هو من نشر الطريقةالتيجانية في السنغال و حتى في بلاد الهوسا بنيجيريا لما مرَّ بها لما كان عائدا من رحلته إلى الحج، أين نزل على الشيخ عثمان دان فوديو لكنه فشل في اقناعه باعتناق الطريقة التيجانية بما أن الشيخ عثمان كان قادريا(**[[3]](#footnote-4)**)، لكنه تمكن من إقناع أمير كانو عبد الله بيرو باتباعه طريقته بعدما دعاه إلى زيارته، و قد وزَع نسخا من كتابه كشف الإلباس على علماء كانوا وأجاب على أسئلتهم فالتف حول طريقته الكثيرون من الأتباع،كما زار موريتانيا و كوناكري الغانية،لكن أكبر جهد بذله الشيخ الشيخ في الدعوة كان داخل السنغال، مقتديا في ذالك بمسيرة والده في ميدان الدعوة الإسلامية فسخّر كل طاقته لتبليغ رسالة التوحيد، معتمدا في ذلك على مجموعة من الوسائل والأساليب، التي مكنته من الوقوف أمام كل القوى التي سعت لفتنة المسلمين فبرز نجمه.

كما اشتهر في جميع مناطق غرب إفريقيا، ووسطها، وذاع صيته في أمصار العالم الإسلامي، وترك  تركة لأحفاده وأولاده من بعده، من كتب ودور علم وزوايا، وأتباع في كل مكان، حتي أوروبا، وأمريكا، وغيرهما. وانتشرت الطريقة التجانية أيضا في بوركينافاسو عبر شيخين جليلين هما: الشيخ أبوبكر ميغا، شيخ مدينة " رحمة الله " في محافظة ياتنقا " في الشمال الأوسط من بوركينافاسو، وقد أخذها علي مشايخه من ينزو معقل الحمويةوعلي يده أسلم أغلب سكان هذه المنطقة، وقد انتشر اتباعه الذين أسسوا زوايا عدة في جميع المدن والقري ببوركينافاسو. بالإضافة إلى الشيخ عبدالله دوكوري الذي كان من بين الذين تم استبعادهم وسجنهم، نظرا لآثارهم الدعوية في منطقة الشمال ببوركينا فاسو، حيث انطلقت دعوته في مدينة (جيبو) عاصمة إقليم (سوم) وانتشرت طريقته في الوسط الفولاني، ووسط (الموسي) وله تأثير خارج حدود بوركينافاسو. وفي النيجر اشتهر الشيخان، شيخ كييوتا أبوبكر هاشم أحمد في منطقة (دوسو) في أواسط غرب النيجر، وهو من أشهر شيوخ التيجانية في المنطقة، وإليه يهاجر أتباع التيجانية في مناسبات عيد المولي النبوي الشريف وكان تلميذا للشيخ إبراهيم نياس الكولخي والـشيخ علي جاتي " شيخ حارة " كاراجي " في مدينة نيامي، وهو تلميذ الشيخ عبدالله دوكوري.

**ثالثا: الطريقة السنوسية:**

تنتسب الطريقة السنوسية إلى مؤسسها وشيخها محمد بن علي بن السنوسي العربي الإدريسي الجزائري (1201- 1275 ﻫ /1787-1859م)ولد بضاحية مايثا الواقعة بضفة وادي الشلف بمستغانم بالجزائر، في أوائل سنة1221ه/1807م خرج من مستغانم إلى مدينة مازونة ومنها إلى تلمسان حيث تتلمذ على كبار شيوخها، وقد شغله منذ وقت مبكر تدهور حالة المسلمين في العالم آنذاك و فقدانه للقادة الراشدة و ضياع البلدان الإسلامية تحت نير الاستعمار الاوربي، وانتشار الافكار المنحرفة، عن طريق الأخبار التي كانت تحملها القوافل المارة بمستغانم فأدرك أهمية العلم في استرجاع أمجاد الأمة الإسلامية، فقرَّر السفر من أجل طلب العلم، فكانت رحلته إلى فاس المغربية أوَّلا أين مكث فيها نحو سبع سنوات، وهناك بفاس درس على أقطاب التصوف من شاذلية و درقاوية و نال المشيخة الكبرى بها.

وبسبب الفتنة التي عرفتها مدينة فاس اضطر إلى مغادرتها، فقرّر العودة إلى مستغانم و منها الرحلة إلى المشرق و خاصة مكة المكرَّمة من أجل أدا مناسك الحج و الإلتقاء بكبار العلماء والتعرُّف على الشعوب الإسلامية عن قرب، فكانت رحلته مرورا بتونس و طرابلس الغرب و مصر و الحجاز، فوقف على أسباب تخلف المسلمين من تعصب و انحراف في العقيدة و تعطُّل الجهاد، فتتلمذ على نخبة من العلماء المسلمين في الحجاز، و كان أفضل شيوخه الذين تتلمذ عليهم في مكة و تأثر بهم، هو أحمد بن إدريس، وهناك قام بتأسيس أول زاوية لطريقته، لكن وفاة شيخه أحمد بن إدريس جعله يغادر الحجاز ويعود مرة أخرى إلى المغرب).

عاد السنوسي إلى طرابلس مع مجموعة من الإخوان سنة 1841م، و نزل ضيفا على عائلة المنتصر لكن والي طرابلس العثماني علي عشقر تخوَف من السنوسي لكن عميد عائلة المنتصر تمكن من إقناع الوالي بإخلاص السنوسي للدولة العثماني، و عرّفه بالسنوسي، فأُعجب الوالي العثماني بورع السنوسي و علمه فمكث في طرابلس مدة من الزمن يعلِّمُ الناس و يبصِّرهم بأمور دينهم، فتعلق الناس به و ساروا إليه من كل حدب وصوب، وحتى الوالي علي عشقر اتبع طريقة السنوسي الصوفية و صار من مريديه، كما حرص الوالي على الاستفادة من نفوذ السنوسي في ليبيا لتوحيد كلمة الشعب و تقوية الأمن وإخماد الفتن.

واصل السنوسي طريق إلى برقة برفقة اعيان اسرة المنتصر و أعيان مصراتة، و رَحَّبَ به أعيان وشيوخ برقة و الجبل الأخضر، و مدينة بنغازي ورافقوه في رحلته، إلى أن وصل إلى مكان يسمى دنقلة اين وجد أتباعه السنوسيون قد شرعوا بأمر منه في بناء الزاوية البيضاء بالقرب من ضرح الصحابي الجليل رويفع بن ثابت الأنصاري و كانت أول زاوية يقيمها السنوسي خارج الحجاز، وأطلق عليها أم الزوايا، كما أسس عدة زوايا في برقة و الجبل الأخضر بلغت حوالي عشرين زاوية([[4]](#footnote-5))، و في سنة 1856م نقل مركز حركته إلى واحة الجغبوب، فكانت نقطة انطلاق حركته نحو القبائل الوثنية في الفريقا جنوب الصحراء.

بعد وفاة الشيخ السنوسي خلفه اخوه محمد الشريف المهدي الذي كان مشرفا على مركز الجغبوب، و كان رجلا ذكيا مثقفا و مطلعا، و في سنة1896م، زاره اعيان برقة و رؤسا القبائل ليقدموا له العزاء، و يدرسوا معه الأحداث الإقليمية و الدولية و المحلية، فأخذ الإمام المهدي يهتم بافريقيا جنوب الصحراء، فأخذ يشتري الأرقاء صغارا من بلاد السودان ويربون في زوايا هذه الطريقة ويقومون بتعليمهم ومتى أكملوا تحصيل العلم اعتقوهم وسرحوهم إلى أطراف السودان مبشرين من سواحل الصومال شرقا إلى سواحل السنغامبية غربا، وكذلك اهتم السنوسيين ببناء الزوايا في هذه المناطق.كما أخذ يرسل بعثات استكشافية في الصحراء و حفر الآبار ويتفقَّد الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي و الاستعداد لمقاومة الاستعمار الفرنسي.

كما أسست الطريقة السنوسية عدة زوايا في غرب افريقيا وتمكن السنوسيون من بسط نفوذهم هناك ، حيث وصلت دعوتهم إلى أقصى الصحراء الكبرى ، ومرورا ببحيرة تشاد وما جاورها من إمارات سواء كانت إسلامية أو زنجية وثنية، ومما تميزت به تلك البلاد في هذه الفترة هو نمو الأطماع الاستعمارية عليها. كما وضع نصب عينيه ا زوية قرو في برقو ناحية السودان الغربي، فاصطحب معه كبار المشايخ السنوسية و شيوخ الزوايا و بعض أعيان القبائل، ومن بين من إصطحبهم معه أثناء وصوله إلى تلك النواحي بالسودان الغربي ابن أخيه الشريف السنوسي حيث عند وصوله إلى المنطقة قام بتعيينه كخليفة له من بعده على السنوسية**(**.

ما إن وصل إلى تلك المنطقة المقصودة حتى أخذ ينشر دعوته هناك ، وقد رحب به سكانها وانظموا تحت لواء طريقته دون أن يمارس عليهم أي إكراه ، ولم يجبرهم هلى الانظمام لطريقته حسب ما قاله المؤرخون.

وتذكر المصادر أنه في حدود عام 1892 م، ظهر مرابط ينتمي إلى الطريقة السنوسية يدعى محمد السني في إقليم دامراغوردا ماغاريم وجند أنصاره في النواحي المجاورة هناك، وأنشأ ازاوية وضع عليها معلما لتعليم القرآن هناك ، وزيادة على ذلك فإن السنوسية في إقليم كاوار كان لها تسع مدارس ، ومن مشاهير أتباع السنوسية في زندر و الذي لقبه أهلها بالزعيم الروحي للسنوسية هناك عبد الكريم دوما الطرابلسي ، الذي تذكر المصادر أنه كان يعمل حذاءا في منطقة بيرني.

**رابعا: الطرق الصوفية و الإسلام في نيجيريا:**

يسكن نيجيريا عدة شعوب من بربرو فلاتة و برنو و ماندينغ، لكن أغلبية الشعب النيجيري ينتمي الى شعب الهوسا[[5]](#footnote-6)\* و الذين يتمركزون في الجزء الشمالي من البلاد، و يتكلم الهوسا لغة تشبه كثيرا اللغة العربية في حروفها،و قواعدها. كما تشبه اللغة السواحلية في جنوب و شرق إفريقيا.

لقد دخل الاسلام الى نيجيريا بنفس الطريقة التي وصل بها إلى غرب افريقيا أي من خلال التجارة و نشاط طبقة الونغارا و الديولا، و هو ما جسده وجود عدد من العلماء و شيوخ الصوفية. حيث عرفت بلاد الهوسا منذ القرن الثاني للهجرة /8م و هي الفترة التي انتشرت فيها حركة تجار وفقهاء الاباضية بصورة كثيفة إلى أرض السودان.

**1.دور العلماء و المتصوفة في الإسلام في نيجيريا:**

و عرفت نيجيريا عدة علماء مسلمين منهم الشيخ يحي بن عبد الله الحسن المعروف بلقب (طن مدينة) التي تعني في لغة الهوسا صاحب المدينة، و هو عالم فقيه قام بتاسيس مدينة جاندوتو (Jandouto). وكان الاسلام في البداية دين بعض التجار و المثقفين، لكنه مع هجرة الداعية موسى جوكلو الى بلاد الهوسا خلال القرن السادس للهجرة/12م، تحول الى موجّه للدولة بفضل المكانة التي كان يتمتع بها هذا الرجل في الدولة ورجالها.

و خلال القرن التاسع للهجرة/15م صار الاسلام هو الدين المهيمن و الدين الرسمي في نيجير. و في عهد السلطان محمد رنفا الذي استقبل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في مدينة كانو و زوده بمجموعة من النصائح و اصبح يدرس في جامع المدينة ، و أرشده الى تعاليم الاسلام في الحكم.

و لقد استفادت ارض الهوسا و القبائل المتحالفة معها من توسطها لعدة دول اسلامية كبيرة و هي مالي، سنغاي، تكرور، و بورنو، بالإضافة الى رحلات الحج التي كانت تمر بأرضها، لكن دور المتصوفة يبقى مميزا في اسلام نيجيريا و الهوسا، حيث كان الشيخ فتح الله بوراس بن محمد الصوفي الذي زار بلاد الهوسا في القرن الثامن و التاسع للهجرة/14و15م ، ثم زيارة محمد بن عبد الكريم المعيلي القادري الذي استقر في كانو، و بقيت ذريته الى اليوم اتخذت من حارة شريفي مقرا لسكناهم.

كما زارها الشيخ محمد زهرة الصوفي المشهور ب(ماي كرغيMai Karghi) حيث قدم من تونس وتحديدا من قرية فيقيق ، و كان الشيخ محمد زهرة ضالعا في علم الحديث في عصره. و قد عاصر هذا العالم الصوفي سلطان كانم محمد قيسوكي، و قد توفي بكانو و ما يزال قبره الى اليوم في حارة كوروندوتس(Goronduts) حيث عاش خلال القرن التاسع الهجري/15م و قام فيما بعد الشيخ عثمان بجمع اسانيده كلها.

كما عرفت امارة كانو الشيخ محمد الفلاتي التورنكي الكشناوي و هو من المتصوفة الذين عاشوا خلال القرن 11ه/17م، توفي بمصر. بالإضافة الى الشيخ عبد الله ثقة، و هو من أصول مالية أخذ عنه الكثير من العلماء النيجيريين أمثال أمير كوا كاوكوانا(Kwa Kwana) و امير كانوا انخر محمد جانازو(Janhazo).

و عموما فقد احتضنت أرض نيجيريا عدة علماء متصوفة الى درجة أنه في إحدى المناسبات الخاصة باحتفالات عيد الاضحى انعقد مؤتمرا بمدينة مغامي(Magami) سنة 1788م شارك فيه اكثر من الف عالم ، و هو ما شجع هؤلاء على اقامة دولة يكون الاسلام شريعتها و مكوجهها، وقد تجسدت هذه الدولة على ايدي الشيخ عثمان دان فوديو الفلاتي.

فلقد عرفت البلاد هجرات الفلاتة منذ القرن السابع الهجري/13م حيث كانوا يستقرون في التكرور والسنغال. و قد استقر هؤلاء المهاجرين الفلاتة في المدن الكبرى و اختلطوا بالسكان المحليين وتزوجوا معهم و اعتنقوا الإسلام و فرضوا على السكان الأصليين سيطرتهم السياسية و الدينية.

**2.حركة الشيخ عثمان بن فودي القادري:**

هو الشيخ المصلح عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد الملقب بالفودي و التي تعني الفقيه بلغة الهوسا ، ولد بقرية **تفل**بولاية سوكوتو في نيجيريا الحالية. و ذلك يوم الاحد آخر يوم من صفر،1168ه الموافق ل 15 ديسمبر عام 1754م.

و تنحدر عائلة الشيخ عثمان دان فوديو من قبائل الفلاتة الذين هاجروا الى نيجيريا قادمين من اعالي نهر السنغال و بالتحديد من فوتا تورو خلال القرن15م، و نشأ الشيخ عثمان بن فودي في بيئة علمية توارثت العلم أبا عن جد، و هو ما اتاح له تعلم مبادئ العربية و اصول الفقه و حفظ القرآن الكريم على يدي ابيه، ثم بعد ذلك أخذ العلم عن علماء آخرين منهم الشيخ جبريل بن عمر الذي كان يعد من اكبر علماء السودان، بالاضافة الى خاله الشيخ عثمان بن الامين الملقب ب(بيدوري Bidduri) الذي لازمه سنتين و تاثر باخلاقه و طبائعه)، ثم سافر الى مكة لأداء فريضة الحج، وفي مكة التقى بمجموعة من العلماء فزادت ثقافته و رغبته في إصلاح أوضاع منطقته. فرجع الى نيجيريا و بدأ بالدعوة الى تصحيح الدين و إلى ترك البدع و العادات السيئة والخرافات، فبدأ الناس يلتفون حول دعوته().

و لقد اتخذ الشيخ عثمان سوكوتو مقرا لانطلاق حركته،و صار تلاميذته ينطلقون منها للوعظ والإرشاد،كما اهتم بتعليم النساء ليتكمنن من نشر الدعوة في اوساط النساء، و سمح للنساء بحظور مجالس العلم، حيث كتب رسالة سماها (**تنبيه الاخوان على جواز اتخاذ مجلس لأجل تعليم النسوان**) خاصة بعدما رفض بعض العلماء ذلك و اعتبروه اختلاطا، فعمل على تعليم بناته و زوجاته، و استطاعت ابنته أسماء ان تؤلف عدة كتب بالعربية و الفلانية و الهوسية (.

لقد تضايق أمير غوبير الامير **باوا** من حركة عثمان دان فوديو فحاول التقرب منه من خلال استدعائه هو و عدد من العلماء بمناسبة عيد الأضحى و أعطاه خمسمائة مثقال من الذهب كهدية و تقرب منه فرفض الشيخ عثمان الهدية و طلب منه أن يحقق له المطالب التالية:

1 ــ حق التجول في الإمارة من اجل الدعوة.

2 ــ عدم منع أي فرد من الاستجابة للدعوة و الإرشاد.

3 ــ احترامك العلماء الذين يلبسون العمامة.

4 ــ إطلاق سراح المساجين السياسيين.

5 ــ التخفيف من الضرائب الباهظة المفروضة على الرعية.

فقبل الامي( **باوا**) شروط الشيخ نظرا لسمعته و كثرة اتباعه و أنصاره.

و في سنه 1794م توفي الامير باوا و خلفه الامير نافتا الذي ناصب العداء للشيخ عثمان والمسلمين عموما و اصدر مرسوما ينص على ما يلي:

1 ــ لا يجوز لأحد اعتناق الاسلام ما لم يكن قد ورثه عن والديه.

2 ــ باستثناء الشيخ عثمان فإنه لا يجوز لاي أحد غيره القيام بالدعوة الى الاسلام في البلاد.

3 ــ منع وضع العمامة و الخمار إطلاقا في البلاد.

كما قام بحركة اضطهاد للمسلمين في امارته، حيث شن حملة عسكرية تناديبية على مجموعة تابعة لجماعة الشيخ عثمان تسمى هذه **جماعة عبد السلام[[6]](#footnote-7)\*** و الذي نتج عنه قتل عدد من الفقهاء والقراء في نهار رمضان، و نهبوا ممتلكات هذه الجماعة و اسروا أولادهم ، و جعلوا يفرشون الكتب والمصاحف و يحرقون الألواح و اخذوا يقولون (**إئتونا بنا كنتم تعدوننا ان كنتم صادقين**). وهذا ما دفع بالشيخ عثمان لإعلان حركة الجهاد التي تعد الأولى في ارض السودان.

و اتفقت جماعة الشيخ عثمان على تنصيبه أميرا للمؤمنين معلنين بذلك قيام أول دولة إسلامية في بلاد الهوسا و ذلك في عام 1804م، أو ما يعرف بخلافة سوكوتو، و حثّ الناس على حمل السلاح و مقاتلة الوثنيين وكان يقول لهم:(إن حمل السلاح سنة) و نصح أتباعه بلبس الزَّيِّ العربي ولبس العمائم و ستر النساء، وهو ما جعل ملوك وأمراء المنطقة لمحاربته فدعا أتباعه إلى الهجرة إلى مكان يسمى غودوgudu، فسمي ذلك اليوم بيوم الهجرة في افريل 1804م.

بعد هجرته بدأ بمراسلة حكام بلاد الهوسا طالبا منهم الدخول في دعوته و نظامه الجديد لكنهم رفضوا، ولجؤوا الى محاربته. كما اتخذ سوكوتو عاصمة دولته الجديدة بين سنتي1804و1809م.

و لم تصل سنة 1810م حتى استطاع ان يؤسس امبراطورية الفلان الكبرى التي ضمت اراضي شمال نيجيريا و اغلب اراضي النيجر و جزء من مالي الحالية. و قد قسمك الشيخ عثمان دولته الى قسمين هما:

1 ـ القسم الشرقي و نصب عليه ابنه بللو.

2 ـ القسم الغربي و نصب عليه اخاه عبد الله.

بينما اكتفى عثمان بالزعامة الروحية ، متخذا من مدينة سوكوتو عاصمة للدعوة الإسلامية، كما الف العديد من الكتب منها:

1 ـ هداية الطلاب.

2 ـ توقيظ المسلمين على مذهب المجتهدين.

3 ـ عماد العلماء.

كما ترك عدة رسائل منها: رسالة في أصول الولاية، رسالة في إحياء السنة و بيان البدع، رسالة في الاجتهاد،رسالة نور الألباب، رسالة في نصائح الأمة، رسالة في الهجرة، رسالة في علم المعاملة وغيرها.

رغم ما شيع حوله من انه المهدي المنتظر فقد كان يرفض هذا الادعاء بشدة ، و صرح عدة مرات بطلان هذا الادعاء، كما تركت لنا حركته الجهادية تراثا إسلاميا في نيجيريا و إفريقيا الغربية عموما سواء من الناحية السياسية او الفكرية أو الأدبية أو اللغوية أو الشرعية، و لا تزال المكتبات العامة و الخاصة في غرب إفريقيا تزخر بنفائس المخطوطات التي ألَّفها الشيخ عثمان بن فودي و أبنائه و إخوته و حتى بناته و طلبته. وتوفي رحمه الله في عام 1817م عن عمره يناهز 63 سنة(**[[7]](#footnote-8)**).

1. () **نور الدين شعباني،** دور عائلة كيتا مرجع سابق، ص 180**.** [↑](#footnote-ref-2)
2. () مدونة سام بوسو عبد الرحمان مفتش التعليم العربي مدينة تياس بالسنغال، سؤال و جواب عن الطريقة المريدية في موقع الكتروني: [*http://samebousso.blogspot.com*](http://samebousso.blogspot.com/) اطلع عليه يوم 09 ــــ 05 ــــ 2010م. [↑](#footnote-ref-3)
3. () [**موسى عبد السلام أبيكن**](https://www.researchgate.net/scientific-contributions/2068766834_mwsy_bd_alslam_abykn) الطريقة التيجانية، مرجع سابق، ص29. [↑](#footnote-ref-4)
4. **() علي محمد الصلابي**، تاريخ الحركة السنوسية في افريقيا، مرجع سابق، ص47. [↑](#footnote-ref-5)
5. \* ينتشر شعب الهوساشمال نيجيرياالحالية خاصة في مقاطعات سوكوتو، كانو، زاريا، باوتشي، و لقد قامت في المنطقة سبع امارات هي: كاتسينا،كانو، زاريا، دورا، غوبير، زنفرا و رانو. [↑](#footnote-ref-6)
6. **\*** عبد السلام هو احد حواريي الشيخ عثمان دان فوديو، كان يرابط في منطقة غمباناGilmbana [↑](#footnote-ref-7)
7. () القشاط، مرجع سابق، ص 116. [↑](#footnote-ref-8)